

# المعجزة الكبرى للقرآن الكريم

محاضرة

ألقاها الدكتور عبد العزيز برهام

الأستاذ بالكلية

في تفسير قوله تعالى :

"فويلٌ للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون:

هذا من عند الله ؛ ليشتروا به ثمنا قليلا . فويل

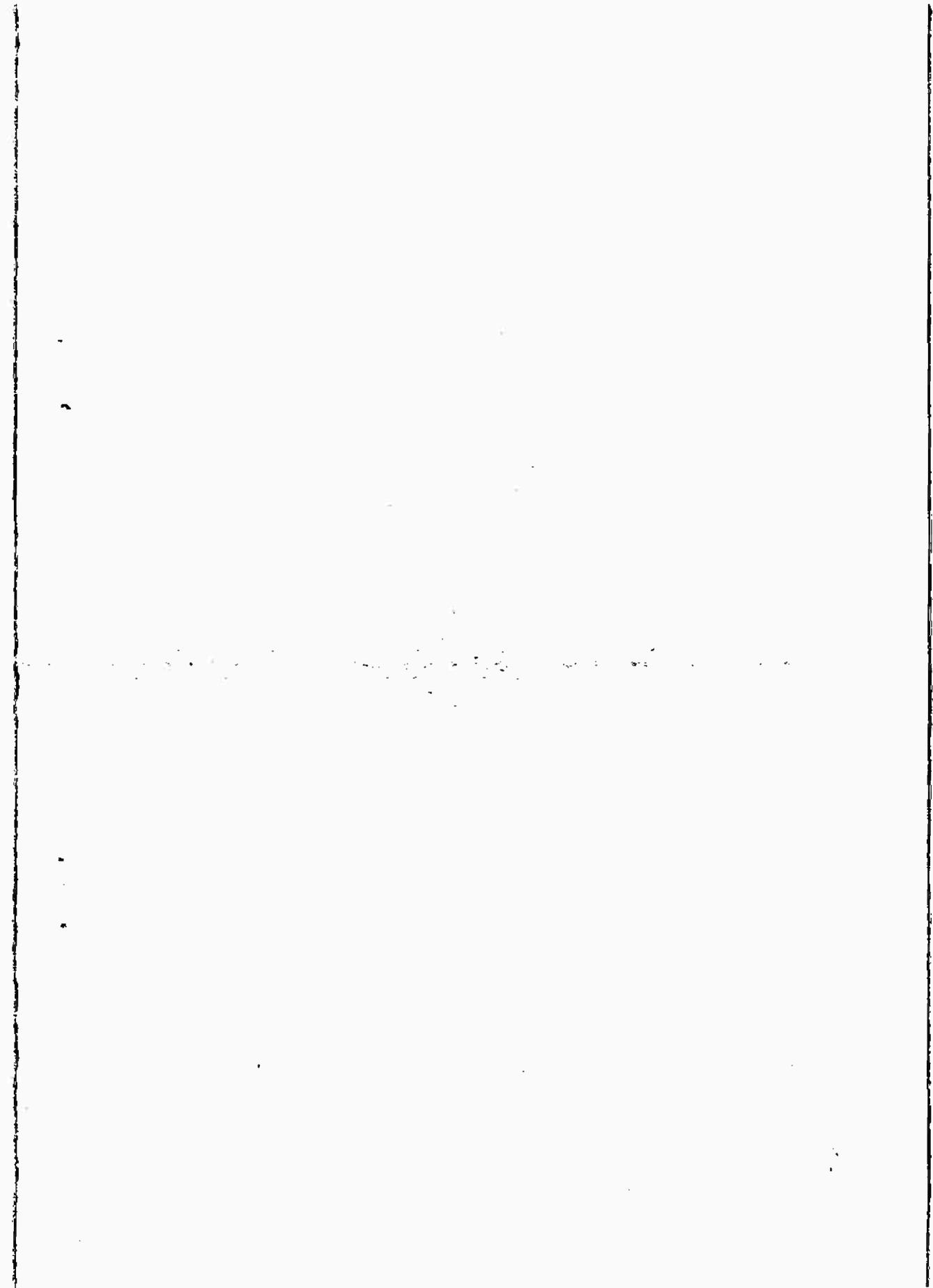
لهم مما كتبت أيديهم ، وويل لهم مما يكسبون"

س . البقرة ٢ / ٧٩

١١ من صفر ١٤١١ هـ

٢٩ مارس ١٩٩٢ م

يوم الاثنين



## أيها المستمعون الكرام!

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

(وبعد) فلكل دين من الأديان السماوية الثلاثة التي نعرفها كتابه الذي يختص به . وهو يشكل أساس الأيمان عند المؤمنين بهذا الدين . وكل مؤمن يعدُّ كتابه تسجيلًا لوحي إلهي .

\*\* وقد يكون هذا الكتاب منزلًا تنزيلاً مباشراً ، فيتلقي الرسول الوحي من خالقة رأساً ، دون واسطة ، كما كان الشأن مع إبراهيم ، وموسى (عليهما السلام)

يقول الله سبحانه وتعالى " إن هذا لفي الصحف الأولى ، صحف إبراهيم وموسى " ، في الوقت الذي لا نعثر في التوراة التي بين أيدينا ، علي أي وحي إلي " إبراهيم عليه السلام - تتكوّن منه الصحف المشار إليها . وكل ما نلتقي به فيها هو تجلي ( يهوذا ) لأبراهيم تارة ، وإبلوهيم تارة ، وأكثر ما يقوله له هو الوحي الخاص " بالوعد " بأعطاء ( إبراهيم ) وذريته من بعده أرض كنعان - فلسطين . وبعد هذا التجلي بيني الرسول مذبحا للرب الذي ظهر له ، في المكان الذي ظهر فيه ، وقد يسميه باسمه . أما ما هو دين إبراهيم الذي يشير إليه القرآن الكريم ، والصحف التي سجلته ، فلا أثر لهما أصلاً في التوراة . فهل معني هذا أن هذه الصحف لا أساس لها أو أنها اندثرت ؟ إن النظر الديني الحديث - كما سنري - أثبت أن التوراة التي بين أيدينا ليست هي نفسها التي أوحى بها ، وإنما الذي دون منها ليس إلا روايات كانت تتناقل ، قبل أن تدون ، شفاهاً . علي ألسنة بني إسرائيل ، حتي انتهى بها الأمر بعد قرون عدة إلي تسجيلها أي أنها لا تضم كل ما أوحى

به ، بل ضمت ما علق بأذهان المتعبدین بها . أما ما لم يعلق فقد عفا عليه الزمن . هذا ، ولما كانت الفترة التي عاش فيها إبراهيم كان بينها وبين فترات التديون دهورا طويلة ، فليس ببعيد أن رسالة إبراهيم تكون قد اندثرت ، لأن الوثنية في أيامه كانت منتشرة بين سكان المناطق التي عاش فيها والتي تنقل فيها ، وكانت العشائر التي تعيش في هذه المناطق التي عاش فيها إبراهيم كثيرة تدين بغير دين إله إبراهيم ، وقد اختلط بنو اسرائيل بهم ، وشاركوهم عبادتهم ، ونسوا بذلك ما كانوا قد تلقوه من ابراهيم من تعليمات ، ولا سيما في الفترة التي كان فيها الرسول يعيـش في وادي الرافدين ، في ( أور ) الكلدانيين الذين كانوا يعبدون الكواكب ، والتي سجلها القرآن الكريم أروع تسجيل ، وسجل موقف قوم ابراهيم منه ، حين أوقدوا نارا ، وألقوه فيها ، فقال الله سبحانه - " قلنا ، يا نار ! كوني بردا وسلاما علي ابراهيم " . إن القرآن الكريم يسرد علينا طبيعة الصراع الذي دار بين ابراهيم ( عليه السلام ) وقومه ، في أكثر من موضع منه ، ويعلم حربا شعواء علي عبادة الأوثان التي كانت منتشرة في تلك الأماكن ، بين سكانها ، حينذاك ، والتي لم تشر إليها التوراة ، بحرف واحد . يقول الله تعالى :

" ولقد آتينا إبراهيمُ رُشده من قبل ، وكنا به عالمين ( ٥١ ) إذ قال لأبيه وقومه : ما هذه التماثيل التي أنتم لها عاكفون ( ٥٢ ) قالوا : وجدنا آباءنا على هذا عابدين ( ٥٣ ) . قال لقد كنتم ، أنتم وأباؤكم في ضلال مبين ( ٥٤ ) . قالوا : أجبنا بالحق أم أنت من اللاعبين ( ٥٥ ) . قال : بل ربكم رب السموات ، والأرض ، التي فطرهن ؛ وأنا علي ذلكم من الشاهدين ( ٥٦ ) . وتالله لأكيدن أصنامكم بعد أن تولوا مدبرين ( ٥٧ ) . فجعلناهم جذاذا إلا كبيرا لهم ، لعلهم إليه يرجعون ( ٥٨ ) قالوا : من فعل هذا بالهتنا ، إنه لمن الظالمين ( ٥٩ ) . قالوا سمعنا فتي يذكرهم يقال له ( إبراهيم ) ( ٦٠ ) قالوا فاتوا به علي أعين

الناس ، لعلهم يشهدون (٦١) قالوا . أنت فعلت هذا بآلهتنا ، يا ابراهيم ؟  
 (٦٢) . قال : بل فعله كبيرهم هذا . فاسألوهم ، إن كانوا ينطقون (٦٣)  
 فرجعوا إلي أنفسهم ، فقالوا : إنكم أنتم الظالمين (٦٤) ثم نُكِّبُوا علي  
 رءسهم : لقد علمت ما هؤلاء ينطقون (٦٥) قال : أفتعبدون من دون الله مالا  
 ينفعكم شيئا ولا يضركم (٦٦) أفألكم ولما تعبدون من دون الله أفألتقولون  
 (٦٧) قالوا : حرقوه ، وانصروا آلهتكم ، إن كنتم فاعلين (٦٨) قلنا : يا نار !  
 كوني بردا ، وسلاما علي إبراهيم (٦٩) . وأرادوا به كيدا ، فجعلناهم  
 الأخرسین (٧٠) . ونجيناه ، ولوطا إلي الأرض التي باركنا فيها للعالمين (٧١) .  
 وهبنا له إسحق ، ويعقوب نافلة ، وكلا جعلنا صالحين (٧٢) . وجعلناهم أئمة  
 يهدون بأمرنا : وأوحينا إليهم فعل الخيرات ، وأقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ،  
 وكانوا لنا عابدين (٧٣) .

### ص الأنبياء ٧١/٥١-٧٣

\*\* هذا السرد التاريخي - الديني الرائع ، وهذا التقدير الكبير لأبراهيم  
 لم تشر إليه التوراة بكلمة واحدة ، فقد أغفلت الفترة التي عاش فيها  
 (إبراهيم) في أرض الكلدانيين قبل أن ينتقل إلي ( حاران ) مع زوجته ، ووط  
 ابن أخيه ، ويبدأ هناك حياة جديدة ، ويتجلي له الرب - كما قلنا أكثر من مرة .  
 إن الآيات الكريمة التي أوردناها ، تبين معالم الدين الجديد ، الذي  
 يعلن الوحدانية ، ويجدد طريق العبادة التي أغفلها ( العهد القديم ) ، والتي  
 تتمثل في عبادة الله ، وفعل الخيرات ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ... لأن  
 عبادة الأوثان التي خلفها ابراهيم وراءه في بلاد الكلدانيين التقى بها في  
 البادية التي هاجر إليها ، واختلط قومه بسكان المناطق التي كان ينتقل فيها  
 طلبا للرزق ، وحدث امتزاج بين ما أوحى إليه به ، وما كان يعبده هؤلاء  
 السكان .

وإذا كان إبراهيم لم يترك وراءه صنف دونت فيها الديانة الوثني بها مباشرة فان (موسي) كان كذلك كليم الله . وهو الذي حمل أعباء الأكربر في تليخ وسلك السماء ، وتقي في زمين ذلك ، التي من دلت ، وحيث ، ويساءة . واسترأء من بني إسرائيل الذين قادمهم عبر سيناء ليرشدهم إلى مكان الأرض الموعودة . فقد كعمه ( يورنا ) وأسا أكثر من مرة . بما يريد أن يوحى إليه به . وهو الذي تتقي الألواح التي سجلت عليها الديانة الجديدة ، وأشار الي ذلك كل من القرآن الكريم ، والتوراة .

\*\*\* هذا ، وقد يكون الوحي منزلا بطريقة غير مباشرة ، عن طريق رسول ، يكون حلة الاتصال بين الموحى ، والموحى إليهم ، كما هو الشأن مع عيسى ومحمد ( عليهما السلام ) . فقد أعلن المسيح أنه يتكلم باسم الرب ؛ وأما محمد ( صلوات الله وسلامه عليه ) فقد بلغ الرسالة التي نقلها إليه جبريل (عليه السلام) .

والإسلام يعد التوراة ، والإنجيل كتباً مقدسة ، ويجعل الإيمان بما صح فيهما جزءاً من العقيدة ، بينما بنو إسرائيل ، والنصارى ينكرون علي القرآن أن يكون كتاباً موحى به ، ويدعون أنه من صنع الرسول ، وأنه نقل عنهما ما جاء به ، وأن بشرا يعلمه ، فيرد الله بقوله : " لسانُ الذي يُلحدونُ إليه أعجميٌّ ، وهذا لسان عربي مبين " -

### النحل ١٦/١٠٢ .

إن اليهودية لا تعترف بأي وحي جاء بعدها ، فهي تكذب بالمسيح ، ولا زال بنو إسرائيل ينتظرون ظهور مسيح من بينهم ، ينشر ديانتهم في الأرض؛ فتصبحُ السيادة فيها لهم ، وهم لهذا لا يعترفون بالأسفار التي أضافتها الكنيسة إلي ( العهد القديم ) اليهودي ، لأنها غير مكتوبة بالعبرية .

فالنصرانية قد آمنت بالتوراة العبرية ، ولكنها زادت عليها بعض الإضافات ؛ وإن كانت هذه لا تمس العقيدة في شيء .

لقد جعلت الكنيسة من نفسها حكما علي ما كُتِبَ عن المسيح ، وعن رسالته - واعتبر البابا نفسه معصوما - فأسقطت عددا كبيرا من الأسفار التي كتبت عنه ، ولم تحتفظ في العهد الجديد ، المسي بالإنجيل ، إلا بعدد محدود من الكتابات من أهمها الأناجيل الأربعة التي لا تعترف بغيرها ، والتي يناقض بعضها بعضا .

والنصرانية هذه لا تعترف بالاسلام ، ولا زال أتباعها يكذبون ما جاء به ، حتي بعد أن ظهر لهم أن الكتاب " المقدس " محرف ، ومليء بالمتناقضات ، وظلوا - ولا يزال فريق منهم ينسبون إلي الاسلام أمورا ليست فيه ، ويستنون إلي رسوله أبلغ الأساءات ؛ ويحاربون من يؤمن بالله من أتباع الكنيسة كل المحاربة .

لقد جاء القرآن الكريم بعد ظهور المسيح بستة قرون ، جاء ليصحح مفهوم العقيدة ، ويخلصها من الشوائب التي علقت بها ، وجعل إيمان المؤمن بالرسول الذين بعثوا قبل الرسول ( عليه الصلاة والسلام ) جزءا من العقيدة الاسلامية ، كذلك الايمان بما جاء به الرسل السابقون يقول الله ( سبحانه ) :

" ياأيها الذين آمنوا آمنوا بالله ، ورسوله ، والكتاب الذي نزل علي رسوله ، والكتاب الذي أنزل من قبل ، ومن يكفر بالله وملائكته ، وكتبه ، ورسله ، واليوم الآخر فقد ضل ضلالا بعيدا " .

سورة النساء ٤/١٣٦

فالقرآن بهذا يؤكد المكانة البارزة التي يحتلها رسل الله في تاريخ التنزيل كتوح ، وإبراهيم ، وموسي ، وسائر أنبياء بني اسرائيل الحقيقيين ،

كذلك عيسى الذي يحتل مكانة بارزة بينهم في الدين الاسلامي هو رأمه حتي إن سورة كاملة من سور القرآن سميت باسمها ، وهي " سورة مريم " . وقد نزهها الله عن كل ما أحاطوها به من اتهامات . والذي يقرب بين ما جاء في سورة " مريم " وما جاء عنها في الأناجيل الأربعة يجد أن القرآن الكريم ، وضعها في منزلة لم تضعها فيها هذه الأناجيل . يقول الله سبحانه :

" واذكر في الكتاب ( مريم ) إذ انتبذت (١) من أهلها مكان شرقيا (١٦) فاتخذت من دونهم حجابا : فأرسلنا إليها روحنا ، فتمثل لها بشرا سويا (١٧) قالت : إني أعوذ بالرحمن منك إن كنت تقيا (١٨) قال : إنما أنا رسول ربك : لأهب لك غلاما زكيا (١٩) قالت : أني يكون لي غلام ، ولم يمسنني بشر ، ولم أك بغيا (٢٠) قال : كذلك قال ربك : هو علي هين : ولنجعله آية للناس ، ورحمة منا . وكان أمرا مقضيا (٢١) فحملته ، فانتبذت به مكانا قصيا (٢٢) فأجاءها المخاض إلي جذع النخلة ، قالت : ياليتني مت قبل هذا وكنت نسيا منسيا (٢٣) فناداها من تحتها ألا تحزني ، قد جعل ربك تحتك سريا (٢٤) وهزي إليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا (٢٥) - فكلني ، واشربي ، وقري عينا : فاما ترى من البشر أحدا فقولي : إني نذرت للرحمن صوما : فلن أكلم اليوم إنسيا (٢٦) فأتت به قومها تحمله ، قالوا : يا مريم ! لقد جئت شيئا فريا (٢٧) . يا أخت هرون ! ما كان أبوك أمرا سوءا ، وما كانت أمك بغيا (٢٨) - فأشارت إليه . قالوا : كيف نكلم من كان في المهد صبيا (٢٩) قال : إني عبد الله ، أتاني الكتاب ، وجعلني نبيا (٣٠) وجعلني مباركا أينما كنت ، وأوصاني بالصلاة ، والزكاة ما دمت حيا (٣١) . وبرا بوالدتي ، ولم يجعلني جبارا شقيا (٣٢) . والسلام علي يوم ولدت ، ويوم أموت ، ويوم أبعث حيا (٣٣) .

(١) أتخذت لنفسها مكانا بعيدا عن القوم . (٢) السري : جدول الماء

(٣) فريا : عظيما (٢) يمترون : يشكون

ذلك عيسى ابنُ مريم قولَ الحق الذي فيه يَمْتَرُونَ (٢٤) ما كان لله أن يتخذ من ولدٍ ؛ سبحانه . إذا قضى أمراً فإنما يقول له : كن فيكون (٢٥) .

" سررة مريم ١٩/١٦ - ٢٥ "

× × ×

فالقُرآن كالإنجيل يعد ميلاد المسيح أمراً خارقاً للعادة ، وبذلك يبريء أمه من كل ما قاله عنها ذوها .

× × ×

\*\* غير أننا يجب أن نعرف أن النصاري الذين لم يختلطوا بالمسلمين لا يعرفون - كما قلنا - شيئاً عن الدين الإسلامي ، وما عرفوه عنه مشوه ، أو يحاولون تشويبه حتى يطمسوا معالمه ، ويظهروه للناس بمظهر كرهه ، حتى ينفروهم منه ، رغم أنهم أو أكثرهم هجروا دينهم ، وابتعدوا عما ذكرته كتبهم ، وجارحهم رجال الدين فيما ساروا عليه ؛ فلم يعولوا يعترفون منه إلا بالاسم ، وبالطقوس . ونحن من جانبنا - معشر المسلمين - لم نفعل شيئاً لتعريف الناس بأمور ديننا ، ولا بحقيقته ، واكتفينا بالخطب ، والشعارات - وعقد المؤتمرات ، وإقامة الحفلات ... دون أن نستفيد من الخطط التي يضعها رجال الكنيسة لنشر دينهم . ومن يحاولون نشره ينسبون قول الله تعالى لرسوله ، " أدع إلي سبيل ربك - بالحكمة ، والموعظة الحسنة ، وجادلهم بالتي هي أحسن " .

لقد اتخذنا " التسامح " شعارنا ، دون أن نفهم حقيقته ، في عصور ، ومجتمعات لا تعرف معنى التسامح ، ولا زالت تعيش بعقيدة " الحروب الصليبية التي كان هدفها القضاء علي الإسلام ، دين السلام ، والتعايش ، والحرية

الدينية لأهل الكتاب ، والتأخي الخ : - هذه العقلية التي لا تعطن عنبا ، وإن كانت تمارسها عمليا . ففي أيامنا هذه يتجمع مندوبون من دول العالم في مجلس يسمونه " مجلس الأمن " يتخذ من الولايات المتحدة مقرا له . والذي يتتبع أعماله يجد أن مفهوم " الأمن " لا ينطبق علي المسلمين . فأمامنا حرب صليبية ، نون رفع الصليب ، دائرة بين فلول الدولة التي كانت من قبل تسمى "يوغوسلافيا" ، وهي تتمثل في دولتي الصرب والكروات المسيحيتين المسلحتين أقوى تسليح ، عن طريق الدول المسيحية المحيطة بهما ، بينما الدولة المسلحة المعتدي عليها ، والمختصة أراضيها ، مجردة من السلاح بقرار من المجلس الموقر ، الذي أنشئ أصلا للحفاظ علي الأمن في العالم ، فاذا طلبت الأذن لها بالتسلح أو الحيلولة بين إعدائها والتسلح رفض المجلس طلبها ، وحرمها من كل وسائل الدفاع ، لا لشيء إلا لأنها مسلحة . ولو كان هذا الصراع الدموي الباغي بين دول مسيحية أو مسيحية ويهودية لتدخل مجلس الأمن في الحال ، وأوقف سيل الدماء .

ومع ذلك فإن الذنب ليس ذنب المجلس ، وإنما هو ذنب مسلمي العالم الذين وقتلوا وتفجروا نون أن يحركوا ساكنا . وصدق كليلة ودمنة انذي سجل مؤلفه كلمة مشهورة : " لقد أكلتُ يوم أُكلِ الثور الأبيض " ، ضاعت (الاندلس)، وتلتها ( فلسطين ) العربية ؛ والبوسنة ، والهَرَسْكَ ، يسيران في طريق الضياع . والله في خلقه شئون .

يقول المسيو ( موريس بوكاي ) الفرنسي الذي أشهر إسلامه : بعد دراسة الإسلام دراسة عميقة ، وكتب عن الكتب المقدسة الثلاث مقارنة :

" لقد فرض علي أجيال أوروبا الكثيرة العدد ، الجهل بكل ما يمسه الإسلام . وهكذا ، فإن الاستعمال السائد حتي اليوم أن يسمى : " الدين

المحمدي " وأن يسمي من يعتقدونه " المحمديون " والفاية من هذا أن تظل النفوس مقتنعة بذلك الرأي الخاطيء القائل بأن المعتقدات المحمدية انتشرت بفضل جهاد رجل ، وأنها ليست له ، وليس لهذا المعتقدات إذن مكان في المعتقدات الالهية .

" إن كثيرا من معاصرينا المثبتين يهتمون بالجوانب الفلسفية ، والاجتماعية ، والسياسية في الإسلام ، دون أن يعالجوا قضية الوحي الإسلامي بصورة خاصة ، كما كان يجب عليهم أن يفعلوه ، ويردوا ما يشاع بين غير المسلمين من أن " محمدا " قد اعتمد فيما قاله علي من سبقه ، وهم يهدفون من وراء ذلك إلي استبعاد الوحي الإلهي منذ البداية " .

x x x

\* كل هذا يقودنا إلي أن نقول كيف يقال إن رسول الأسلام قد نقل ما أوحى إليه به عن سبقوه ، وهم بنو اسرائيل ، والنصاري في الوقت الذي يعلن فيه صراحة أن كل ما ينسبونه إلي أنفسهم ، ويقولون أنه موحى به إلي رسلهم وأنبيائهم ، قد دخنه التحريف ، والتزيف ، والاختلاق ؟ كيف ينقل عن (الكتاب المقدس ) ما يبلغه إلي المؤمنين برسالته ، وهو يعلم أنه ليس هو الموحى به ، وإنما كتبه أيد أدمية ، وادعت أنه وحي وليس بوحي ؟ أليس القرآن المنزل عليه هو الذي يقول عن بني إسرائيل : " فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ، ثم يقولون : هذا من عند الله ؛ ليشتروا به ثمنا قليلا . فويل لهم مما كتبت أيديهم ، وويل لهم مما يكسبون (٧٩) وقالوا : لن تمسنا النار إلا أياما معدودة ، قل : أتخذتم عند الله عهدا ، فلن يخلف الله عهده ؟ أم تقولون علي الله ما لا تعلمون (٨٠) بلي ؛ من كسب سيئة ، وأحاطت به خطيئته

، فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون (٨١) .

سورة البقرة ٧٩/٢ - ٨١ .

هنا ينقل محمد ( قصصات أنبا رسدما عليه ) بروحي الأنبي عن الكتاب  
المسماة بالمتنسة ، وهو يعلم انه حريزة ، رئيس من عند الله ، وأن الكتاب  
الذي يقره الله عليه يقول له ذلك ؟

كيف ينقل ما يبلغه قومه عن اليهود ، والله يقول فيهم : " ولقد أتينا  
موسى الكتاب ، وقفينا من بعده بالرسل ، وأتينا عيسى ابن مريم البينات ،  
وأيدناه بروح القدس . أفكلما جاعكم رسول بما لا تؤوي أنفسكم استكبرتم ؛  
ففرقا كذبتم ، وفرقا تقتلون ؟ (٨٧)

( س . البقرة ٨٧/٢ )

## ويقول:

" وإذا قيل لهم : آمنوا بالذي أنزل الله ، قالوا : نؤمن بما أنزل علينا -  
ويكفرون بما وراءه - وهو الحق مصدقا لما معهم . قل : لظلم تقتلون أنبياء الله  
من قبل . إن كنتم مؤمنين (٩١) . ولقد جاعكم موسى بالبينات ، ثم اتخذتم  
العجل من بعده ، وأنتم ظالمون (٩٢) وإذا أخذنا ميثاقكم ، ورفعنا فرقكم  
الطور ؛ خذوا ما أتيناكم بقوة ، واسمعوا . قالوا : سمعنا ، وعصينا ،  
وأشربوا في قلوبهم العجل بكفرهم . قل : بشما يأمركم به إيمانكم ؛ إن كنتم  
مؤمنين . (٩٣)

سورة البقرة ٩١/٢ - ٩٣

هذه الآيات البينات ، وكثير غيرها لا يمكن إلا أن تكون وحيا من الله  
الذي كان طرفا مع موسى ، ومع بني إسرائيل ، فهو يبلغ رسوله بما حدث

من اليهود الذين يعارضونه اليوم ، وينكرون دعوته - حدث مع ( موسى ) رسولهم الذي أخرجهم من مصر ، وجاوز بهم البحر ، وأخذ عليهم العهد والمواثيق بأن يعبدوا إلهم ( يهوا ) الذي نجاهم من فرعون ، وقومه ، وإذ بهم ينغمسون في الوثنية ، ويعبدون العجل . ثم تأتي ذريتهم من بعدهم فيقتلون أنبياءهم إذا بلغوهم ما لا تهوي أنفسهم ...

فليس من المنطق إذن أن يدعي أحفادهم أن ما يوحي به إلي رسول الإسلام ليس إلا ما أوحى إلي أنبيائهم به ، ينقله إلي أتباعه من كتبهم ، علي حين أن كتبهم محرفة . ( كما سنري ) ومليئة بالوثنيات ، وبالخرافات ، والمخزيات . وكتاب الله لم يرد فيه أي شيء من هذا . إن المصدر الذي أوحى بما أوحى إلي نوح وإلي ابراهيم وموسى ، وعيسى ، وسائر الرسل الأنبياء هو نفسه الذي أوحى إلي محمد بن عبد الله ، رسول الانسانية جمعاء ، قصة كل من الأنبياء السابقين عليه - وهو الله تعالى . وإذا كانت الكتب السابقة علي القرآن قد حُرقت ، وبدلت ، فإن القرآن أتى بحقيقة ما بُنغ ، ونعي علي المحرفين تحريفهم ، وعلي المزيفين تزييفهم ، والتاريخ هو التاريخ ، ولم يُخف شيئا مما حدث .

يقول الله سبحانه :

" ألم تر إلي الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يشترون الضلالة ، ويريدون أن تضلوا السبيل (٤٤) . والله أعلم بأعدائكم ، وكفي بالله وليا ، وكفي بالله نصيرا (٤٥) . من الذين هادوا .. يحرفون الكلم عن مواضعه .. (٤٩) .

سورة النساء ٤/٤٤ - ٤٦ أ

ويقول جل جلاله عن اليهود :

" فيما نقضهم ميثاقهم ، لعناهم ، وجعلنا قلوبهم قاسية . يحرفون الكلم

عن مواضعه ، ونسوا حظا مما ذكروا به

سورة المائدة ١٣/٥

**ويقول:**

" إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم ، وأموالهم بأن لهم الجنة ، يقاتلون في سبيل الله ، فيقتلون ، ويُقتلون ، وعدا عليه حقا في التوراة ، والإنجيل ، والقرآن ؛ ومن أوفي بعهده من الله ؟ قاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به ؛ وذلك هو الفوز العظيم "

س التوبة ١١١/٩

**ويقول :** " وإذ قال عيسى ابن مريم : يا بني إسرائيل ! إني رسول الله إليكم ، مصدقا لما بين يديّ من التوراة ، ومبشرا برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد ؛ فلما جاعهم بالبينات ، قالوا : هذا سحر مبين " ( س . الصف ٦١ / ٦ )  
والسؤال الآن : أين التوراة الموحى بها ، وأين الإنجيل المنزل علي عيسى ؟

**ويقول جل جلاله :**

" نزل عليك الكتاب بالحق ، مصدقا لما بين يديه . وأنزل التوراة . والإنجيل (٣) من قبل هدي للناس . وأنزل الفرقان إن الذين كفروا بأيات الله لهم عذاب شديد ، والله عزيز ذو انتقام (٤) - س آل عمران ٣ / ٣ - ٤

**ويقول - سبحانه :**

" وإذ قال موسى لقومه يا قوم ! لم تؤذونني . وقد تعلمون أني رسول الله إليكم ؟ فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم والله لا يهدي القوم الفاسقين ( س الصف ٦١ / ٥ )

x x x

## • تثيق النص من " المقدسة " :

هذه الآيات البيّنات جعلت المسلمين يؤمنون بالكتب المذكورة الصحيحة الموحّي بها ، لا التي سطرتها أيدي البشر ، لذلك كان علينا ، قبل أن نعمل بما بها ، أن نوثق نصوصها ، وأن نتأكد من أنها هي حقيقة الموحّي بها ، والمسجلة وقت نزولها علي الرسل .

لو كانت بين أيدينا مخطوطة منسوبة إلي شخص ما علي أنه مؤلفها ، ونريد نشرها فأول شيء نفكر فيه هو أن نتأكد من صحة هذا المكتوب علي غلافها هذا مخطوط في أي موضوع دنيوي من الموضوعات ؛ أقلًا يكون من الأولي أن نتحقق من صحة ما نتعبد به ؟ هذا هو الموضوع الذي عاجه الباحثون علي مدي قرون عدة ، وقد توصلوا في النهاية إلي التشكيك في صحة ما جاء في ( الكتاب المقدس ) بشقيه : العهد القديم والجديد . وبذلك أيدوا ما قاله كتاب الله ( جل جلاله ) عن الكتب الموسومة بالمقدسة وأنها من صنع البشر ، وليس كل ما فيها وحيا من خالق السموات والأرض .

إن النظر في " الكتب المقدسة " يقتضي باديء ذي بدء دراسة الظروف التي سادت تحرير نصوصها ، والطرائق التي انتقلت إلينا بها هذه النصوص ، وإن معالجة نصوص الكتب المقدسة من خلال علم الدراسة النقدية شيء قريب العهد في البلاد الأوربية . فقد ظل الناس إلي عهد قريب جدا يتقبلون نصوص ( العهد القديم ) ، و ( العهد الجديد ) علي أنها مقدسة . وكان التعبير عن أي روح نقدية إزاء الكتاب المقدس يعد خطيئة لا تغتفر . وكان القساوسة ، والأخبار هم الصفوة التي تستطيع بدون عناء أن يكون عندها معرفة إجمالية عن ( التوراة ) و ( الأنجيل ) أما عامة الناس فلم يكن يؤذن لها إلا بتلقي نصوص مختارة خلال الطقوس الدينية أو عبر العظات ، من مثل ما في ( دلائل الخيرات ) عند المسلمين



من أين استمد هذا القس علمه هذا ، وهو ليس برسول يوحى إليه ،  
ليس إلا بشرا من بني آدم ، ثم من هو هذا الكائن الأعلي المعصوم من  
الخطأ؟ أهو خالق هذا الكون أم هو الرئيس الأعلي للكنيسة ؟ الله أعلم .

هذا القرار الكنسي الذي صدر من أعلي سلطة في الكنيسة ، والذي  
جعل ( الكتاب المقدس ) هو صوت الجالس علي العرش ، وحكم بتقديس  
العهدين كان يعيش في واد والبحوث الدينية في واد آخر . في العصر نفسه  
أي السادس عشر الميلادي .

قال تعالي : " وأتينا موسى الكتاب فأهتلف فيه ، ولولا كلمة سبقت من  
ربك لقضي بينهم ؛ وإنهم لفي شك منه مريب " صدق الله العظيم .

هذه الحقيقة أنكرها اليهود

يوم أن أوحى بها إلي رسول الاسلام ( صلوات الله وسلامه عليه ) في  
القرن السادس الميلادي . وحتى ذلك الحين لم يكن هناك من غير المؤمنين من  
يصدق صحة هذه الحقيقة ؛ فكذب بها بنو إسرائيل ، وتابعهم في ذلك  
النصاري ، ولا يزالون . فقد كان هؤلاء وأولئك يسلمون بصحة كل ما جاء به  
(العهد القديم ) ، سواء منه ( التوراة ) أو الكتب الأخرى التي ألفت بعدها ،  
والتي لا تخرج عن أن تكون سردا تاريخيا ، وقصصا ، وخرافات ، وترهات ،  
وأوصافا للمعارك الدامية التي دارت بين الأسرائيليين وغيرهم ، وبينهم وبين  
أنفسهم ، إلي جانب نبوءات الأنبياء ، وغيرها . وهذه كلها إذا فكر فيها المرء ،  
وأمعن في التفكير لا يستطيع أن يصدق أنها وحي من خالق السموات ،  
والأرض ، وحي من إله إسرائيل .

لذلك لا نعجب إذا رأينا أهل الكتاب الذين عاشوا في عصر نبي  
الاسلام (عليه الصلاة والسلام ) أو بعده يقاومون الرسالة الالهية التي بلغها  
هذا النبي - الرسول :

( أولاً ) لأنهم لم يكونوا يعرفون عن حقيقة كتبهم شيئاً ، فكانوا يؤمنون  
إيماناً عميقاً بأنها وحي سماوي ، فلا سبيل لمعارضتها .

( ثانياً ) لأن الطم لم يكن قد تقدم ، والتاريخ قد كُتب ، والناس قد وعروا  
ما يتألم ، وما ينقل اليهم من كتبهم ؛ لأن رجال الدين هنا وهناك كانوا بما  
يقدرون يسيطرون علي أتباع دينهم ، ويسوقونهم سوق السوائم ؛ وأية ذلك  
قيام الثورة الفرنسية التي دعا إليها تحكم رجال الكنيسة في مصائرهم ،  
الدينية ، والأخوية علي حد سواء ، والتي انتهت بفصل الكنيسة عن الدولة .

كذلك ثورة ( مارتن لوثر ) علي الكنيسة ، وقد كان هو نفسه من  
رجالها ، وخروجه منها ؛ لأنها كانت تحرم علي أتباعها قراءة ( العهد القديم )  
إلا ما تختارة هي لهم ؛ لعلمها بما فيه من أمور يندي لها الجبين . ولذلك رأينا  
هذا الناثر يترجم ( الكتاب المقدس ) إلي اللغة الألمانية ؛ ليقراه جميع أتباعه ،  
ومع ذلك فإنه كان يدرك حتي يومه هذا أن أكثر ما في هذا الكتاب وحي إلهي ،  
لا من صنع البشر ؛ لأن التاريخ لم يكن قد كشف عن هذه الحقيقة بعد ، وإذا  
كان رجال الكنيسة قد سيطروا علي أتباعها ، وأفهموهم أن ما جاء به الرسول  
( عيسى ) عليه السلام ، ودون في الأناجيل حق ، فإن الشيء ذاته قد حدث  
مع اليهود أيام أن كانت لهم دولة ، وأيام أن صاروا رعايا لمن قوضوا دولتهم  
هذه من الأشوريين ، والبابليين ، والرومان ، ودب فيهم الفساد حتي هدمهم  
أنبياءهم بالزوال ماداموا يتأون عن سبيل ربهم ( يهوفا ) ، ويحرفون دينه ،  
ويعبدون الأصنام . فهذا النبي ( أشعيا ) يقول :

اسمعي ، أيتها السموات ، وأنصتي أيتها الأرض ، فإن ( يهوفا ) قد  
تكلم ( ١ ) . لقد غذيت أطفالاً ، وربيتهم ، ولكنهم تمردوا عليّ ( ٢ ) الثور يعرف  
قانيه ، والحمار معلق صاحبه ، لكن إسرائيل لم تعرف ، وشعبي لم يفهم ( ٣ )  
ويل للأمة الخطاء ، للشعب المثقل بالألم ، لذرية المجرمين الفجار ! لقد

انصرفوا عن ( يهوفا ) ، واستهانوا بقُدوس إسرائيل ، وارتدوا علي أعقابهم(٤) .

ما هي العقوبات الجديدة التي نزلت بكم ، عندما استكثرتم من عصيانكم ؟ نالرأس كنه سقيم ، والتلب كنه مصاب ، من أخمص القدم ، حتي قمة الرأس . لا شيء منافي . ليس إلا جروح ، وكُحوم ، جروح تسيل ؛ لا شيء منها قد عولج أو ضمّد ، أو برئت الأمة من أثر الزيت (٦) . بلادكم تد صارت خرابا ، ومدنكم قد التهمتبا النيران ، ومزارعكم (٥) قد أتلفها الغرياء أمام عيونكم ؛ لقد خربوها ، وهدموها كالبرابرة (٧) - (الأصحاح الأول ١ - ٧)

**ويقول :**

اغتسلوا ، وطهروا أنفسكم ، وأزبحوا من أمام ناظري أعمالكم الشريرة، كفوا عن الأساءة (١٧) تعلموا الأحسان ، وأنصفوا اليتيم ، ودافعوا عن الأرملة (١٨) .

• • • • •

ماذا ننتظر من شعب يصفه ربه وحاميه بهذه الأوصاف ؟ المال ! المال ! فلا عجب إذن أن يتعرد الذين تمرد أسلافهم علي ربهم، أن يتمردوا علي رسول الإسلام وينكروا رسالته ، ويكيدوا له ، ويتموه بتزييف الوحي عندما قال الله لهم : " إن هذا القرآن يقص علي بني إسرائيل أكثر الذي هم فيه يختلفون " .

كان لا بد إذن من الانتظار عشرة قرون أو تزيد حتي تفك هذه الطلاسم التي أشار اليها كتاب الله الكريم ، حتي تكشف الدراسة النقدية للكتاب المقدس ، عن مصادره ، وعن مدى صحة ما جاء فيها ، وما تحمله من حقائق أوزيف ( كما سنري ) .

× × ×

لقد جاء الإسلام في القرن السادس الميلادي أي قبل قرار المجمع الكنسي الأعلى بحشرة قرون ، وأوحى الله في قرآنه إلي رسول الإسلام أن فريقا من بني اسرائيل " يكتبون الكتاب بأيديهم ، ثم يقولون : هذا من عند الله ؛ ليشتروا به ثمنا قليلا " (١) . ولكن اليهود آنذاك أنكروا إنكارا تاما ما قاله كتاب الله . وظل هذا الإنكار سائدا حتي القرن السادس عشر الميلادي ، فانضم إليه قرار المجمع المشار إليه الذي أيد ما يقول به اليهود منذ ظهور الإسلام ، وزاد علي ذلك أنه أضفي القداسة علي أسفار في ( العهد القديم ) لا يُعرف من الذي ألفها ، وعلي أسفار لا يتصور عاقل أن تكون موحى بها ، لما فيها من غزل فاضح ، وحكايات مخزية ، وخرافات ... لا يمكن أن تصدر عن خالق الكون . القرآن كاذب فيما يقول ، وفيما يتهم به الذين زيفوا التوراة ، والانجيل ، فكلاهما مقدس ، وكلاهما موحى به - هكذا قيل .

وكان لا بد أن ننتظر عشرة قرون بعد نزول القرآن ، حتي نري أول بذرة من بذور تصديق ما جاء به كتاب الله ، تلقي في حقل البحث الديني ، والنقد الديني للكتاب المقدس ، وظلت هذه البذور تنمو ، وتتكاثر حتي ملأت حقل التصديق بأكمله ، ولم تكف حتي اليوم عن نموها ، وتكاثرها . فقد أصبح نقد النصوص علما ، كان له الفضل في الكشف عن كثير من مشاكل مطروحة ، أثبت أن هناك مواطن ضعف كثيرة فيما يسمي ( الكتب المقدسة ) : التوراة ، والانجيل . " ولكن الغالبية النصرانية - كما يقول مسيو (بوكاي) ظلت في جهالة تامة عن أمر تناقض ما بهذه الكتب مع المعارف الدنيوية المشهورة التي تعد غالبا من المعارف الأساسية جدا " .

هذا ، وقبل أن ندخل في سرايب هذا النقد الذي أثبت أن كلا من العهدين القديم والجديد لم يدون كما أوحى به ، بل خطته يد الانسان ، وملأته بما لا يليق بكتاب مقدس - نقف مع العهد القديم وقفة قصيرة لنصف ما فيه من أسفار .

(١) ذكرنا ما جاء به القرآن في هذا الصدد من قبل ( ص ١٠ - ١٣ )

## العهد القديم

تطلق كلمة ( العهد القديم ) علي كل ما يضم ما أنزل علي أنبياء بني إسرائيل من نبوءات ، وعلي غيرها من الأسفار التي تؤرخ لهذا الشعب منذ ظهوره إلي عالم الوجود حتي اختفائه من علي خريطة التاريخ ... الخ .

وسمي ( القديم ) لأنه هو الذي أبرم بين ابراهيم وربه الذي وعد رسوله أن يعطي الأسرائيليين أرض كنعان هبة منه - بينما ( العهد الجديد ) كان بين ( عيسي ) وربه .

ويطلق القرآن كلمة ( التوراة ) علي كتاب بني إسرائيل الذي أوحى به إلي ( موسى ) ؛ لأنه العمود الفقري للشريعة الأسرائيلية . أما ما عداه فلا علاقة له بالدين ، فهو تاريخ ، وتكرار لما أوحى به علي ( موسى ) ، حتي نبوءات الأنبياء . الخ .

## مكونات العهد القديم

### أولاً- التوراة :

تتألف من خمسة أسفار هي : التكوين أو الخليقة ، والخروج ، واللاويون أو الأحبار ، والعدد ، والثنية .

### (١) سفر التكوين :

يروي لنا قصة خلق الكون ، واستقرار الإنسان علي الأرض بعد أن كان يعيش في الجنة ، وظهور شعب بني إسرائيل . وهو يحدثنا عن نوح ، وابراهيم ، ويعقوب ، واسحق ، واسماعيل ، ثم عن يوسف ، وعن السيارة

التي اشترتها ، وأخذته معها إلى مصر ، وإقامته بها ، وعن وصول يوسف إلى أعلى منصب في أسر التمرين الخ ثم عن حدوث مجاعة في أيام يعقوب في أرض مقامه رقبيلته ، وإرساله بنيه يفترون من مصر ، وتعرف ( يوسف ) الذي كان حينذاك صاحب الشأن في الميرة علي إخرته دون أن يعرفه ، واستدعائه لأهله أجمعين . وينتهي السفر بوفاة ( يعقوب ) بمصر ، وتحنيطه ، وحمله ، ليدفن في أرض كنعان . ثم وفاة ( يوسف ) ، وقد بلغ من العمر ١١٠ سنوات .

### (٢) سفر الخروج :

يروى لنا قصة بني إسرائيل الذين قدموا مع يعقوب إلى مصر ، وكان عددهم ٧٠ نفسا ؛ وبعد فترة من الزمان أخذوا في التكاثر حتى امتلأت الأرض بهم . وأثناء مقامهم بمصر ولد ( موسي ) الليثي ، وتربي في بلاد فرعون بعد أن انتشل من النيل . ولما كبر حدثت بينه وبين فرعون وقومه أمور استدعت هربه من مصر ، وذهابه إلى سيناء وتزوجه من بنت كاهن ( مدين ) ثم اختياره رسولا إلى فرعون ليطلب منه الأذن لبني إسرائيل بمغادرة البلاد ، والذهاب إلى طور سيناء لعبادة ( يهوذا ) إله إسرائيل - وقد تم ذلك ، واستقر بالطور لتلقي الوحي هناك .

### (٣) سفر اللاويين :

يقص علينا أخبار قبيلة ( لاو ) التي ستولي سدانة المعبد ، والسهر علي تابوت العهد الخ .

وقد استخدمت الأحداث التاريخية إطارا لعرض المبادئ ، والتعاليم التي تنظم الحياة الدينية ، والاجتماعية ، للشعب الإسرائيلي . ومن هنا جاءت كلمة " التوراة " أي التعليم من فعل (  $\text{למד}$  ) أعلم ، درس .

## (٤) سفر العدد :

به إحصاء جماعة بني إسرائيل الخارجين من مصر وبيوت آبائهم ،  
بعدد أَسْمَانِهِمْ ، من ابن عشرين سنة فصاعدا ، أي كل من يخرج إلى الحرب  
.. الخ . وتسجيل مراحل الخروج ( ٢٦ إصحاحا ) - ذكر الوعد (٢٤) وتختم  
الأرض .

## (٥) سفر التثنية :

وفيه تكرر لبُيُود الشريعة التي ذكرت في الأسفار السابقة . وكانت  
التوراة أربعة إصحاحات ثم أُضيف إليها هذا السفر الذي عثر عليه في  
الهيكل عام ٦٢٢ ق . م .

## ثانيا - النبوءات :

هذه الطائفة من الأسفار تضم نبوءات مختلف الأنبياء الذين ظهوروا في  
بني إسرائيل ، أذا استثنينا كبارهم أمثال موسي ، وصوئيل ، وإيليا واليشع  
الذين تكفلت أسفار أخرى بعرض حياتهم ، من خلال أحداث عصورهم  
السياسية ، ومشاركتهم فيها .

وهؤلاء الأنبياء ظهوروا في الفترة التي تمتد من القرن الثامن إلى القرن  
الثاني قبل الميلاد .

أما أسفار القرن الثامن ق . م . فهي نبوءات عاموس ، وهُوشع ،  
وأشعيا ، وميخا ..

أما ( عاموس ) فقد ثار على المظالم الاجتماعية ، وأما ( هُوشع ) فثار  
على الفساد الديني مما جعل إسرائيليو عصره يعذبونه ( بعد أن تزوج بعامرة

مقدسة في عبادة وثنية ) . كصردة الرب الذي يتألم بسبب انحلال شعبه ،  
رإن أعطاه حبه دائما .

- وأما ( أشعيا ) فإنه وجه للتاريخ السياسي . إنه يسود الأحداث ؛  
لأن الملوك يستشيرونه . إنه نبي العظمة . وإلى مؤلفاته تضاف نبوءاته التي  
نشرها تلاميذه حتى القرن الثالث ق . م . ومنها الاحتجاج علي الظلم ،  
والخوف من يوم القيامة ، والتبشير بالتحرد ، في عصر النفي ، والتنبؤ بعودة  
الاسرائيليين إلى فلسطين في فترة لاحقة .

ومن المؤكد أن نبوءتي أشعيا الثانية ، والثالثة تحتويان ، إلى جانب  
الاهتمام النبوي ، علي اهتمام سياسي يظهر فيهما جليا .

- وتتبع رسالة ( ميخا ) ، وهو معاصر لأشعيا ، أمثال هذه الأفكار .

❶ وفي القرن السابع ق . م يظهر صُفُنْيَا ، وأرمياء ، وناحوم ، وحببُوق علي  
مسرح التبشير . ويقضي ( أرمياء ) حياته شهيدا ، فتلقي ( باروك )  
نبوءاته . وقد يكون هو كاتب المراثي المنسوبة إلى أرمياء .

❷ وفي بداية القرن السادس ق . م . يقع السبي البابلي ٥٨٦ ق . م ،  
فيؤخذ الاسرائيليون إلى ( بابل ) بالعراق أسري فتظهر في فترة السبي  
نبوءات نشطة .

ويعد النبي ( حزقيال ) المجلي في هذا المضمار ؛ فقد تضمنت نبوءاته  
الكثير من المواساة لشعبه ، حين بذر فيهم بذور الأمل ، بعودتهم إلى أرض  
كتنان - فلسطين ، وله رؤي مشهورة .

أما ( عوبيديا ) فيرتبط كتابه بكوارث القدس المشهورة .

❶ هذا ، ولما انتهت فترة النبي عام ٥٢٨ ق . م بمردة من أراد من بني إسرائيل العودة إلى فلسطين استؤنف النشاط النبوي مع ( حَجَّاي ) ، (زكريام) للحث على إعادة بناء هيكل سليمان ... ( ملاخي ) .

ويعد بناء الهيكل تلتقي بنبوءات متنوعة ، ذات طبيعة روحانية .

ثم هناك كتاب ( يونس ) ، ( والعهد القديم ) لا ينسب إلى هذا النبي نبوءات بالمعنى الحقيقي للكلمة ، فالكتاب ليس إلا حكاية يُستخلص منها أمر رئيسي هو الخضوع المطلق للأرادة الإلهية .

ونتساءل : كيف أدرج هذا السفر بين أسفار الأنبياء ؟

( دانياال ) - سفره مكتوب بثلاث لغات هي ( العبرية ، والآرامية ، والإغريقية ) . وهو رؤيا ، يقول المطلقون من النصراري إنها مذهلة ، من وجهة النظر التاريخية .

ويعتقد أن هذا السفر ألف في القرن الثاني ق . م . ، في عصر المكابيين .

ريحتمل أن يكون كاتب هذه الرؤيا قد هدف إلى إقناع مواطنيه ، في عصر ( منتهي الشر ) إلى أن ميعاد الخلاص قريب ، حتي يبعث فيهم روح الأمل .

### ثالثا - كتب الشعر ، والحكمة :

هناك مجموعات متناشرة ، وإن كانت تتمتع بوحدة أدبية لأجدال فيها . وتحثل ( الزامير ) المقام الأول بين هذه المجموعات . إنها الصرح الشامخ في الشعر العبري . وينسب إلى ( داود ) كتابة عدد كبير منها . أما البقية فقد

كتبها الكهنة اللاذيين . وموضوع هذه المزامير هو المدائح ، والتضرعات ،  
والتأملات ؛ وكانت وظيفتها طقسية الطابع .

٢) أما سفر ( أيرب ) ، سفر ( الحكمة والبر = العدل ) فيرجع تاريخ تأليفه ،  
فيما يقال ، إلى القرن الخامس ( ٤٠٠ ) أو السادس ( ٥٠٠ ) ق . م .

٣) ونشيد الأناشيد ليس إلا مجموعة من الأناشيد الرمزية التي تتناول الحب  
الالهي تهل كل شيء .

٤) وأما ( المراثي ) علي ستوط ( القدس ) ، فتنسب إلي ( أرمياء ) في بداية  
القرن السابع ق . م .

٥) ويتكون سفر ( الأمثال ) من طائفة من أقوال سليمان ، وحكماء آخر كانوا  
في بلاطه ..

وأما سفر ( الجامعة ) فيتحدث عن السعادة الدنيوية والحكمة .

### سؤال:

والسؤال الذي يرد علي ذهن الآن هو : كيف استطاع هذا المجموع  
المتنافر في مضمونه ، والذي يتألف من أسفار دونت علي مدي سبعة قرون  
علي الأقل ، وجاءت من مصادر متنوعة للغاية ، ثم تجمعت بعد ذلك في مؤلف  
واحد .

كيف استطاع عبر القرون أن يكون كُلا لا تنفصم عراه ، وأن يصبح -  
مع بعض الاختلافات بين الجماعات الدينية - كتاب الوحي اليهودي -  
المسيحي ؟ كيف أصبح القانون Canon ، وهي كلمة إغريقية يرتبط بها  
معني ( عدم المساس ) ؟

إن هذا التجميع يرجع إلي العهد الیهودي نفسه ، ولا شك أن مرحلته الأولى تعود إلي القرن السابع ق . م . ثم جاءت الكتب اللاحقة فأضيفت إلي الموجود منه . علي أننا يجب أن نلاحظ تلك المنزلة الخاصة التي حظيت بها في كل العصور الأسفار الخمسة التي تتألف منها ( التوراة ) ، والتي كانت نواة لما جاء بعدها . فقد أمكن ، فيما بعد ، إضافة أسفار الأنبياء إلي الأسفار التي قيلت من قبل ، مادامت هي أيضا تتحدث عن الثواب ، والعقاب .

إن النصرانية التي كانت في أول أمرها يهودية - نصرانية قد تقبلت بشكل طبيعي جدا ميراث ( العهد القديم ) الذي ارتبط به كل الارتباط مصنفو الأنجيل ، وذلك قبل أن يجري عليها التحول الذي حدث بتأثير ( بولص ) الداعية ، ولكن إذا كان " تطهير " الأنجيل قد تم باستبعاد الأنجيل المزورة ، فإن المسئولين لم يروا ضرورة الفرز بالنسبة للعهد القديم وقبلوا كل ما يحتويه تقريبا ، بل أضافوا إليه كما أشرنا إلي ذلك من قبل .

x x x x x x

### \* \* \* هدي التصديق بصحة ما جاء في العهد القديم :

لقد ظل الحال كذلك حتي العصور الوسطى الأوروبية لا يخطر ببال أحد أن يفكر في قضية التشكيك في صحة ما جاء بالعهد القديم .

ومنذ العصور الوسطى الأوروبية حتي بداية العصور الحديثة ظهرت علي الألسنة ، والأقلام بعض الانتقادات لمحتويات الكتاب المقدس ، ولكن الكنيسة نجحت دائما في فرض سيطرتها ، وكتم أنفاسها .

ومع ذلك فقد شهد العصر الحديث ميلاد نقد أصيل للنصوص المقدسة ، أو المدعاة كذلك ، ولكن المتخصصين في هذا المجال لم تكن لديهم الشجاعة

الكافية للتصريح ، وتجاوز الأمور التفصيلية ، واكتفوا بالتلميح بأن هناك صعوبات في دراسة بعض نصوص الكتاب المقدس . وحتى ذلك الحين لم يجرؤ أحد منهم علي عمل موازنة صريحة ، وعميقة بين روايات الكتب المقدسة بعضها وبعض ، وبينها وبين المعارف الحديثة ؛ لأن هذا لو حدث كان سيقود إلي القضاء علي صحة فكرة الكتابات اليهودية النصرانية التي لم يناقشها حتي ذلك الحين أحد .

ولكي نقف علي حقيقة ما بأسفار ( العهد القديم ) يجدر بنا :

( أولا ) أن نقف علي المصادر التي استقي منها ما بها .

( ثانيا ) أن نقف علي المسار الذي سلكته حتي وصلت إلي أن أصبحت شريعة يؤمن بها ملايين الناس .

## مصادر العهد القديم

### أولا - مرحلة النقل مشافية :

كان العهد القديم قبل أن يدون ، ويصبح مجموعة من الأسفار تراثا شعبيا يعتمد اعتمادا كليا علي الذاكرة ، وكان هذا التراث يغني .

يقول ( إدمون يعقوب ) : " إن كل شعب يغني في مراحل تطوره البيئية

" . ولم تكن إسرائيل بدعا من الشعوب ؛ ففيها سبق الشعر النثر الفني .

وكانت حياتها التاريخية خليطا من الحماس البالغ ، واليأس القاتل . ولهذا

أعطت أغانيها تعبيرات كثيرة التنوع . فكان الناس يغنون في مختلف

المناسبات . ويسجل لنا ( العهد القديم ) نفسه الأغاني التي كانت تغني في

هذه المناسبات . فمنها أغاني الطعام ، وأغنية الاحتفال بنهاية الحصاد ؛

وأناشيد العمل ، مثل أناشيد البئر المشهورة ( سفر العدد ٢١ / ١٧ ) يقول

المصنف :

” ورحلوا من ثم إلي البئر ، وهي البئر التي قال يهوذا عنها لموسى  
اجمع الشعب حتي أعطيهم ماء (١٧) حينذاك ترنم إسرائيل بهذا النشيد  
اصعدي يا بئر ، تجاوبوا لها (١٨) بئر احتقرها الرؤساء ، احتقرها أشرف  
الشعب بمخضرة ، بعصيتهم ، من البرية إلي المتانة ؛ ومن المتانة إلي تحلينيل،  
ومن تحلينيل إلي ( باموت ) ( ٢٠ ) ومن باموت في الوادي الذي في حقل مؤاب  
إلي رأس الفسجة الذي يُطل علي البرية (٢١) .

وأناشيد الزواج مثل : ” نشيد الأناشاد ” ، وتراتيل الحداد ، وأناشيد  
الحرب ، وما أكثرها في ( العهد القديم ) ؛ ومنها ترنيمة ( دبورة ) ( س .  
القضاة - الحكام ١/٥ - ٢٢ ) التي كانت ترددها فرحا بنصرة إسرائيل في  
حزب قادها ( يهوذا ) بنفسه ( س العدد ٢٥/١٠ ) .

كذلك هناك الحكم ، والأمثال ( س . الأمثال ) . كذلك الأمثال والحكم  
التي تتضمنها الكتب التاريخية المقدسة ، وكلم البركات واللعنات ، والنواميس  
التي يستنتها الأنبياء للناس بعد أن يكون الرب قد وكلهم في ذلك .

أما الطريقة التي كانت تتناقل بها كل هذه الأمور فهي طريق الأسرة ،  
شفويا ، وطريق المعابد في شكل رواني يقص تاريخ بني إسرائيل .  
وقد تحول هذا التاريخ بسرعة إلي تطعيمه بالأمثال . من ذلك مثل يونان  
( الحكام ٩ / ٧ - ٢١ ) الذي فيه يقول :

” ذهبت الأشجار لتحين عليها ملكا ؛ فتوجهت أولا إلي الزيتون ، ثم إلي  
شجرة التين ، ثم إلي الكرمة ، ثم إلي العوسج ” .

هذا الأسلوب من التعبير جعل ( إدمون يعقوب ) يقول : إن الوظيفة  
الأسطورية في الرواية لم تعبأ بما يتطرق بموضوعات ، وعصور كان تاريخها  
معروفا بشكل سيء ” - ويخلص من هذا إلي القول بأنه ” يحتمل أن ما يرويه  
( العهد القديم ) عن ( موسى ) ، وعن الآباء الأولين لا يتفق إلا بشكل تقريبي

مع المجري التاريخي للأحداث . ولكن القصاصين كانوا يعرفون - حتي في هذه المرحلة من النقل الشفوي - كيف يخلعون الأناقة ، والخيال علي القصة حتي يربطوا بين أحداث شديدة التنوع .

" لقد نجحوا في تقديم هذه الأحداث المختلفة في صورة حكاية لما حدث في أصل العالم ، وللإنسان . ويستطيع العقل الناقد أن يعدها في آخر الأمر معقولة إلي حد كبير " - وبذلك شهد شاهد من أهلها .

⊙ هذه هي الحال التي كانت عليها الأمور حتي نهاية القرن الثالث عشر قبل ميلاد المسيح : قصص تتناقل شفاهاً من جيل إلي جيل ، يدخل عليها ما يدخل من التحوير ، والزيادة ، والنقص الخ .

فلما استقر بنو اسرائيل في أرض فلسطين فكروا في أغلب الظن في تدوين تراثهم ، والاحتفاظ به . ولكن الفكرة لم تكن قد تبلورت ، وتحمس لها نور الشان .

## ثانياً : مرحلة التدوين

ومع ذلك فإن هذه الفكرة شهدت ، علي أية حال ، تدوين بعض نواميس الشريعة ، والأحداث ، منها التاموس الذي تنسب كتابته إلي الرب نفسه ، وهو " الوصايا العشرة " . فهذا التشريع قد أُدخل فيما بعد في ثنايا (العهد القديم) ، ولكنه ذكر مرتين ، بروايتين مختلفتين ، مرة في سفر الخروج ( ١٨/٣١ ) ( ١ ) ( خج ٢٧/٣٤ - ٢٨ ) ، وأخري في سفر التثنية ( ١/٥ - ٣٠ ) وروح الوصايا في الروايتين واحدة ، ولكن النص مختلف ( ٢ ) .

( ١ ) يقول : " ولا فرغ ( يهوذا ) Yāhvé من مخاطبة ( موسى ) دفع إليه لوحى الشهادة ، لوحيين من حجر مكتوبين بأصبع الرب " .

( ٢ ) انظر سفر الخروج ( ص ١٩ و ٢٠ و ٢١ و ٢٢ و ٢٣ الخ ) .

كذلك دونت الوثائق الهامة من عقود ، ومخاطبات ، وقوائم الشخصيات (الحكام ، وكبار الموظفين بالمدن ، وقوائم الأنساب ) ، وقوائم القرابين ، وقوائم النذائم ، الخ . بهذا تكونت الملفات التي ضمت الوثائق التي استخدمت فيما بعد في تحرير المؤلفات النهائية التي انتهت بالأسفار التي في حوزتنا اليوم .

بهذه الطريقة اختلطت في كل سفر أنواع أدبية متنوعة : وعلي أدل العلم المتخصصين أن يبحثوا عن الدوافع التي أدت إلي التأليف بين هذه الوثائق المتناثرة .

كذلك نبوءات يعقوب ، وموسي ، والنصوص التشريعية في جملتها ، كل هذا وغيره أنشأ تقليدا دينيا قبل سن القوانين الشرعية .

كل هذه النصوص تكون قطعاً متفرقة في ثنايا ( العهد القديم ) . وهكذا نرى أن هذا المجموع المتناثر الذي يسمى ( العهد القديم ) قد اعتمد أولاً في جزء منه كبير علي الرواية الشنوية دهوراً طويلة ، وخلال هذه الفترة سجلت أمور كثيرة هنا وهناك ، ثم في النهاية بدأ التدوين النهائي ، علي مراحل ، ولكن كيف ؟ ومتي ؟ .

ولكي نجيب عن هذين السؤالين ، علينا أن نستعرض حال كل قسم من أقسام ( العهد القديم ) علي حدة ، علي انفراد ، في شيء من الأيجاز ( كما سيأتي ) .

وها نحن أولاء نختم حديثنا هذا بكلمة عن سبب التدوين وطريقته في رأي Wells . ولز ، و Hosmer هُسمر .

## النفي البابلي والتدوين:

في عام ٥٨٦ ق . م أغار البابليون على مملكة ( يهوذا ) في جنوب فلسطين التي كانت عاصمتها ( أورشليم ) أو ( بيت المقدس ) وتغلبوا عليها ، ونفّوا عددا كبيرا من أهلها إلى ( بابل ) . وبقي هؤلاء البابليون يحكمون البلاد وقتا طويلا ، وبقي اليهود المنفيون يعيشون في وادي الرافدين ، صاحب الحضارة العريقة ، والتقدم العلمي الكبير الذي خلف وراءه أثارا قيمة لا تزال باقية حتى اليوم ، تشهد بما كان عليه البابليون من تمدّن . وقد كان لهذه البيئة الحضارية الجديدة بدون أدنى شك آثار كبرى في حياة الأسرائيليين المقيمين بها ، وفي أسلوب تفكيرهم ، وثقافتهم . كانت حياة تختلف كلية عن حياة البادية التي نشأ فيها بنو إسرائيل ، وترعرعوا ، وهم أميون . لقد خرجوا من هذه البادية ، واحتلوا أرض كنعان ، واختلطوا بأهلها ، وأفادوا من عاداتهم الوثنية ، وعلمهم الضئيل ، واقاموا لهم دولة ، ولكنهم لم تتفتح عيونهم على شيء جديد ، ويقفوا يعيشون عيشة البداوة إلى حد كبير : يتقاتلون على امتلاك بئر يشربون منها ، ويسقون مواشيهم ، وظلوا حتى في أرض فلسطين ليس لديهم من غذاء روعي إلا ما كان يحمله إليهم الرسل الموفدون من قبل ( يهرثا ) . والله سبحانه وتعالى يقول عنهم : " كلما جاعكم رسول بما لا تهوى أنفسكم استكبرتم ، ففريقا كذبتهم ، وفريقا تقتلون (١) .

ولكن الحال تبدل كل التبدل حين عاشوا في بابل حيث النعيم المقيم ، والثقافة العالية ، والعقول المتفتحة ، والأحاساس العميق بالوطن ، ووحدة

---

(١) سورة (٢) (٨٧)

الوطن . لهذا نرى كبار المؤرخين يصفون ( فترة النفي البابلي ) بأنها هي التي فتحت عيون الأسرائيليين ، وأذانهم وعقولهم ، فعكفوا علي تراثهم القديم يدونونه ، ويشرحونه ، ويصفونه ألخ حتي استقر علي دعائم ثابتة ، رغم ما فيه من اضطراب ، ومبالغة ، وزيف ، واختلاف ، (و التلمود البابلي ) أكبر شاهد علي ذلك . يقول Wells في كتابه : موجز تاريخ العالم ص ٨٩  
: A short History of the World

" إن أسفار ( العهد القديم ) جمعت لأول مرة في ( بابل ) ، وظهرت في القرن الخامس ق . م . وهو يعقد صلة بين رأيه هذا وبين مرحلة ( النفي البابلي ) التي قضاها بنو إسرائيل في وادي الرافدين فيقول : إن بني إسرائيل لم يكونوا قبل النفي يكوّنون شعبا متحضرا ولا موحدا . ولم يكن فيهم في أغلب الظن إلا فئة قليلة تعرف القراءة والكتابة . وتاريخ هذا الشعب لم يذكر لنا قط أن أحدا فيه كان مثقفا ، وأنه كانت له نجل السبي أسفار يقرأها عامة الناس . ويرجع الفضل في تحضرهم ، وتثقفهم ، وتولد فكرة جمع تراثهم الذي يضم تاريخهم ، وتسجيل عاداتهم المرعبة . الي غير ذلك إلي ما تعلموه من البابليين أثناء مقامهم بينهم .

لذلك أخذوا في تدوين الاسفار من المصادر المتعددة ؛ حتي يعدوا أنفسهم ليوم الخلاص الذي سيطلق فيه سراحهم . فرأيناهم حين عادوا إلي فلسطين شعبا تختلف حالته اختلافا كبيرا عما كانت عليه عند ذهابهم . ومن

هنا قال بعض المؤرخين إن التوراة هي التي صنعت الإسرائيليين ، وليس هؤلاء هم الذين صنعوا التوراة .

كذلك يكتب Wells في مؤلفه " Outline of history " ملخص تاريخ اليهود " إن بني إسرائيل ذهبوا إلي ( بابل ) فمجا ، وعادوا منها متحضرين ، خرجوا جماعة منقسمة علي بعضها البعض ، لا يربط بينهم أي رابط قومي ، وعادوا بروح وطنية متماسكة ، وميل إلي العزلة ، ذهبوا وليس لهم أدب مشترك بينهم ، وليس في تاريخهم ما يدل علي أنهم يميلون إلي قراءة أي كتاب ، وعادوا إلي وطنهم ومعهم قسم كبير من مادة " العهد القديم " . لقد نشط العقل الإسرائيلي في فترة السبي ، وخطا خطوات فاسحا إلي الأمام ، بعد أن تخلص العبريون من ملوكهم القتل الكثيري المنازعات ، وخلصوا السياسة جانبا ، وعاشوا في الجو البابلي المسالم الباعث علي النشاط الذهني . ( ص ٢٢٠ ) .

فالكتاب المقدس إذن لم يكن وحيا إلهيا مدونا وقت نزوله بحيث أمكن الحفاظ عليه ، كما حدث مع القرآن الكريم الذي حفظ ودون بأملء من الرسول علي المؤمنين كما أنزل ، أملاه آية آية وحرفا حرفا أولا بأول . لقد اشترك الكهنة في كتابة ( العهد القديم ) وكان علي رأسهم الحبر ( عزرا ) الذي رأس طائفة من اللاويين - كما يذكر Hosmer - وكان ذلك في منتصف القرن الخامس ق .م وذهب بهم إلي فلسطين حيث استعاد معهم الحياة الأسرائيلية ، وكان هو أكثرهم نشاطا ، وتحمسا حتي استطاع أن يجمع أجزاء كثيرة مما سمي بعد ( العهد القديم ) ، فلما قضى أجله أكمل الكهنة الذين خلفوه العمل

الذي بداه . وما أن وصلنا إلي عصر المكابيين حتي كانت أجزاء (العهد القديم) قد اكتملت ، ولكنها لم تكن قد أخذت بعد صورتها التي هي عليها الآن، كما أنها لم تكن كلها بمنزلة واحدة من التقديس بل كانت منازل . Hos- mer, The Jews ( ٧٥ - ٧٦ ) .

⊗ هذا ، وقد اخترع الأسرائيليون والنصاري فكرة ( الألهام ) يخلعونها علي من ليسوا بأنبياء ولا مرسلين ليبرروا بها عملهم الدنيوي الذي لا يمت إلي الوحي الألهي بسبب وصدق الله حين قال : " يكتبون الكتاب بأيديهم ، ثم يقولون : هذا من عند الله " . ))

وإذا كان أسلافنا قد عدوا قوله تعالى في سورة ( الروم ٢٠ / ٢ - ٤ ) : غلبت الروم في أدنى الأرض ، وهم من بعد غلبهم سيفليون ، في بضع سنين . لله الأمر من قبل ومن بعد . )) من قبيل الأعجاز في القرآن الكريم . فمن باب أولي أن تعد المعجزة الكبرى له ما ورد فيه عن تحريف ، واختلاف ، وتضارب .. الخ ما جاء بالكتب " المقدسة " - " فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون : هذا من عند الله ، ليشتروا به ثمنا قليلا " .

**ثالثا - مرحلة التصديق بما جاء في الكتاب المقدس :**

### **ولنبدا بالتوراة:**

ظل الأسرائيليون ، والنصاري - كما قلنا - دهورا طويلة يؤمنون بأن موسى هو الذي صنف التوراة ، ولعلمهم كانوا يعتمدون في رأيهم هذا علي بعض آيات وردت فيها، من مثل :

- قول الرب لموسي : " اكتب هذا تذكارا في الكتاب " ( خج ١٧/١٤ ) -  
وهذه اشارة إلى هزيمة عماليق .

ومثل ما ورد في الأصحاح الثالث والثلاثين من سفر العدد : " وكتب  
موسي مخارجهم برحلاتهم حسب قول الرب " .

ربما جاء في الأصحاح الحادي والثلاثين من سفر التثنية : " وكتب  
موسي هذه التوراة وسلمها للكهنة من أبناء ( ليثي ) الذين يحملون تابوت  
عهد يهوذا ، وإلى جميع شيوخ إسرائيل ( ٩/٢١ ) .

- هذا ، ومنذ أوائل القرن الأول ق . م بدأ الدفاع عن هذه الفكرة ،  
فكرة أن ( موسي ) هو الذي كتب التوراة . قال ذلك المؤرخ الشهير (يوسف) ،  
وفيلون الاسكندري .

كذلك ينسب ( العهد الجديد ) إلى موسي تأليف التوراة . فهذا (بولص)  
الداعية الملقب في النص العربي بالرسول يقول في رسالته إلى أهل رومية  
( ٥/١٠ ) ؛ لأن موسي يكتب في العدل الذي يصدر من الشريعة " . وهو بهذا  
يقتبس عبارة من سفر اللاويين .

هذا الاعتقاد ظل سائدا حتي نهاية العصور الوسطي النصرانية ،  
والذي خالف هذا الرأي هو ( ابن عزرا ) في القرن الثاني عشر ، كان هو  
الوحيد الذي رفض هذه الفكرة .

## رابعا - مرحلة النقد الديني :

### بدء التشكك : القرن السادس عشر :

وفي القرن السادس عشر استرعي نظر ( كارل شقات ) أن سفر  
(التثنية) الذي هو السفر الأخير من ( التوراة ) يتحدث في نهايته ( صح ٣٤ /

٥ - ١٢ ) عن وفاة موسى ، ودفنه . فقال : ليس من المعقول أن يكون موسى قد كتب بنفسه خير وفاته ، ودفنه . ثم جاء نقاد آخرون بعده فأنكروا أبرة موسى علي الأمل لجزء من الأسفار الخمسة التي منها تتألف التوراة .

### ● القرن الثامن عشر :

ولكن الفضل الأكبر للكشف عن الاضطراب البالغ الذي في ( التوراة ) يرجع إلي ( يوحنا أستروك ) الفرنسي الذي كان طبيبا لأحد ملوك فرنسا ، فقد نشر عام ١٧٥٢ م دراسة بعنوان :

(( تكهنات عن المذكرات الأصلية التي يبدو أن ( موسى ) قد أفاد منها في كتابة ( سفر التكوين ) . ))

لقد كان الطبيب ( استروك ) شجاعا حين أعلن أن هناك نصين جنبا إلي جنب في ( سفر التكوين ) يحتوي كل منهما علي خاصية مختلفة في تسمية الرب ، فأحدهما يسميه ( يهوذا ) ، بينما الآخر يسميه ( إيلوهيم ) .

وقد أكمل بحثه في هذا المجال أيج هوم Eichhom ( ١٧٨٠ - ١٧٨٢ ) فكشف النقاب عن هذا الكشف بالنسبة للأسفار الأربعة الأخرى في التوراة .

ثم جاء إلجن Ilgen ( ١٧٩٨ م ) ولحظ أن أحد النصين اللذين بحثهما استروك ، وكشف فيهما عن أن كلا منهما يطلق علي الاله اسما يغير الآخر ، - يهوذا وإيلوهيم - ينقسم هو أيضا إلي قسمين ؛ وبذلك تفتت تماما أسفار موسى الخمسة .

### ● القرن التاسع عشر :

فلما كان القرن التاسع عشر وجدنا نقد النصوص الدينية يصل إلي نتائج حاسمة ، ودقيقة نقول : إن التوراة قد اشترك في كتابتها أربع جماعات:

(١) إحداهما : واقدمها تلك التي تسمى الاله ( يهوفا ) ويرجع تاريخها في أغلب الأحيان إلى القرن التاسع ق . م . وقد عاشت في مملكة يهوذا ، في جنوب فلسطين التي كانت عاصمتها ( أورشليم ) أي بيت المقدس أو القدس .

(٢) رثائيتها : تلك التي تطلق علي الإله اسم ( إيلوهيم ) وهي أحدث عهدا من السابقة ، وكانت بمملكة اسرائيل ، مملكة الشمال التي كانت عاصمتها شمرون .

(٣) سفر التثنية : وقد حرر في القرن الثامن أو السابع ق . م .

(٤) الجماعة الكينونية أو جماعة الأخبار : وهذه ظهرت في عصر النبي الي بابل ٥٨٦ ق . م أو بعده بقليل أي في القرن السادس ق . م .



من هذا نرى أن تدوين ( التوراة ) استمر علي أقل تقدير ثلاثة قرون . وهي مدة غاية في الطول ، كما نرى ، وتحتمل الزيادة والنقص ، والتغيير والتبديل الخ . كما تحتمل الاختلاف في الآراء ، وفي ذكر الأحداث ، والبعد عن الحقيقة والواقع ، ولا سيما إذا نظرنا إلي أن الفارق الزمني بين وقوع الأحداث منذ عصر نوح ، والطوفان ... حتي عصر التدوين فارق كبير جدا ، كانت فيه رواية الأحداث ، والوقائع ، والنواميس الشرعية وغيرها تتناقل فاما لفاه ، والنقل العموي له ما له من مضار وخيمة .

ويكفي تأييدا لهذا أن نتصور - ونحن في أواخر القرن العشرين - أننا نسجل في أواخر هذا القرن تاريخ بلادنا منذ أوائله دون أن يكون قد دون منه شيء ؛ ثم نجيء نحن اليوم لندونه من علي ألسنة الناس . فما بالك إذا كنا

نسجيل اليوم تاريخ الإسلام في عصره الأول دون أن يكون قد دون منه إلا مقتطفات قليلة لا تسمن ولا تغني من جوع ؟

### ● القرن العشرون :

إن البحوث التي مرت بنا ، والتي انتهت إلي أن التوراة قد اشترك في تدوينها عدة جماعات ، واستغرق هذا التدوين ما لا يقل عن ٢٠٠ عام - لم تتوقف عند حد . فقد جاء القرن العشرون ، والعقول متفتحة ، والأضواء الساطعة ملقاة علي نصوص التوراة ، والشك في صحة هذا السفر " المقدس " أخذ في التزايد ، والحمية الدينية الملتهبة قد خمدت أو كادت ، والعقول العلمية قد أوصلتنا إلي الطواف حول الكرة الأرضية ، وإلي معرفة حقيقة القمر الذي يطوف حول الأرض الخ الخ - كل هذا ألقى علي عقول المفكرين حزما من الأشعة أضاعت لهم سبل التفكير . لم يعد الأحبار ، ولا الكنيسة حجر عثرة في سبيل البحث الحر الطليق في أمور الدين ، وفي مصادره ، وفي الكلام عن المشاركة الجماعية في تدوين أصوله . بذلك رأينا البحث تزداد عمقا ، كما تزداد تعقيدا . ففي عام ١٩٤١ م استطاع البرفيسور ادولف لودز Adolphe Lods الاستاذ بالسربون ، والذي تلمذت عليه ، أن يميز في الوثائق اليهودية ثلاثة مصادر ، وفي الوثيقة الأيلوهيمية أربعة ، وفي سفر التثنية ستة ، وفي النصوص الكهنوية تسعة . وهذا ، دون اعتبار "للأضافات الموزعة بين ثمانية مصنفين" - كما يقول الأب (ريثو) .

ولكن البحث لم يتوقف عن النمو ، إذ أنه وصل في النصف الثاني من هذا القرن ( العشرين ) إلي أن يبين أن " كثيرا من النواميس التي في أسفار ( موسى ) الخمسة كان لها ما يماثلها خارج ( التوراة ) ، وفي فترة تسبق بكثير التاريخ المنسوب إلي مصادر التوراة " ، وأن " عددا من أسفار موسى الخمسة يفترض وجود مصدر آخر أكثر قَدَمًا من ذلك الذي يفترض أن هذه الوثائق قد خرجت منه " فالمشكلة إذن غاية في التعقيد ، ولا ندري أين يكمن الحل . وسيأتي يوم تظهر فيه الحقيقة كاملة بعون الله ، بفضل علماء النقد الديني أنفسهم .

وحصدق الله العظيم حين قال :

" نرسل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ، ثم يقرءون : هذا من عند الله ؛ ليشتروا به ثمنًا قليلاً . نرسل لهم مما كتبت أيديهم ،  
ردول لهم مما يكسبون .

( سورة البقرة ٢ / ٧٩ )

وقال :

" يا أهل الكتاب اقد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيرا مما  
كنتم تخفون من الكتاب ، ويعفو عن كثير " .

( سورة المائدة ٥ / ١٥ )

وقال :

" ولقد أخذ الله ميثاق بني إسرائيل ، وبعثنا منهم اثني  
عشر نقيبا ، وقال الله : إني معكم : لئن أقمتم الصلاة ، وآتيتم  
الزكاة ، وأمنتم برسلي - وعزرتموهم ، وأقرضتم الله قرضا  
حسنا لا كفرنُ عنكم سيئاتكم ، ولأدخلنكم جنات تجري من تحتها  
الأنهار . فمن كفر بعد ذلك منكم فقد ضل سواء السبيل (١٢) .  
فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم ، وجعلنا قلوبهم قاسية . يحرفون

## الكلم عن مواضعه ، ونسوا حظا مما ذكروا به ؛ ولا تزال تطلع علي خائنة منهم ( ١١٣ ) سورة المائدة ( ١٢/٥ - ١١٣ )

③ ② ①

( ويعد ) فان تعدد المصادر التي أشرنا إليها ، وطول المدّة التي تنوّعت فيها النصوص علي ألسنة الناس ، من بدو ، ومن حضر - كل هذا يجر إلي تناثرات ، وتكرارات عديدة في هذه النصوص ، الموسومة "بالمقدسة" . وقد أعلن كتاب الله الكريم عن كل هذا قبل أن يظهر النقد الديني للنصوص بعشرة قرون من الزمان ، وقال : " إن هذا القرآن يقص علي بني إسرائيل أكثر الذي هم فيه يختلفون " سورة النمل ( ٢٧ / ٧٦ )

ويكفي لأثبات ما قاله الله عمليا أن نستعرض ما نون عن خلق العالم ، وعن ذرية ( قابيل ) ، وعن الطوفان ، وعن بيع ( يوسف ) ، وعمّا جرى له بمصر ، وغير ذلك كثير - لنؤمن بما وصل إليه النقد الديني لنصوص ( العهد القديم ) والمضروب لبين ذلك مثلا ، علي حين أن الجعبة ملاي بما أثبتته النقطة الحديث عن هذا ( العهد " المقدس " ) من أول حرف فيه إلي آخر حرف (١)

والله ولي التوفيق

### قصة خلق العالم ، كما وردت في ( التوراة ) :

ذكرت هذه القصة التي لم يكن هناك داع لذكرها في سفر التكوين (الخليقة) اللهم إلا رغبة المصنف في أن يجعل من آدم أبا لهذا العالم عن طريق بني إسرائيل .

(١) انظر " أضواء علي الكتب المقدسة ، للمحاضر فقيه عدد وغير من الأمثلة علي تعدد الروايات التي تقص الخبر الواحد أو الحدث الواحد أو الفعل الواحد بصور مختلفة ، قد تكون متناقضة " . وقد نشرته كلية الآداب عام ٩١ - ١٩٩٢ ونحن بصدد إعداد مؤلف جامع عن هذه القضية سيصدر فور إتمامه ( إن شاء الله ) للبرهنة علي صدق ما جاء بالقرآن الكريم .

● هناك روايتان عن هذا الامر ، الأولى منهما يرجع ما فيها من تصور إلي ( الجماعة الأيلوهيمية ) أي التي تسمى الآله ( إيلوهيم ) ، والأخرى إلي اليهودية وهي التي تسمى الآله ( يهوفا ) . ولكن نلاحظ في هذه أن الاسمين يذكران جنبا إلي جنب ، مما يدل علي أن هناك يدا ثالثة ظهرت ، بعد أن وضعت الروايتان إحداهما بعد الأخرى في القصة ، وضعت اسم إيلوديم بعد يهوفا حتي يظل أثر المدرسة الأيلوهيمية مستمرا . ونعود إلي الوقائع المذكورة في كل من الروايتين فنقول :

في الرواية الأيلوهيمية التي دونت الأصحاح الأول من سفر الخليقة ، والجمل الأربعة الأولى من الأصحاح الثاني أن إيلوهيم بدأ عمله بخلق الكائنات جميعا وبعد أن فعل ذلك صور الإنسان ( آدم ) . بينما تأتي الرواية الأخرى اليهودية ، وتذكر أن أول المخلوقات هو الإنسان ثم خلقت بقية الكائنات من بعده ؛ وعلت خلقه أولاً لكي يفلح الأرض ، فهي تقول : لم يكن هناك مطر ليروي الأرض ، ولا إنسان ليقلمها . ثم إنه لم يرد في الرواية الأولى ذكر لخلق المرأه ، بينما خلقت المرأه في الرواية الثانية من ضلع آدم بعد أن أتم يهوفا خلق العالم .

فهل هذا كلام موحى به . والله سبحانه وتعالى يقول للخلق جميعا :  
" أفلا يتدبرون القرآن ؟ " ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا "

س النساء ( ٨٢/٤ )

وشكراً علي حسن استماعكم . والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .